# كان وقبائلها «15»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان البردوني
يشرّح أوجاع بلاده
ويقهقه حزناً من كائنات غباره..
يرسم وجه القبيلة المجدور
وسيوف المهرّجين الخشبية،
ويسخر من كل مسخ يرتدي أثواب
الوطنية.

كان البردوني
يشعّ حباً من خلف النسيان
ودعاة الحرية وطغاة الفجر القادم
يزفّون البلاد لأعراس دامية
ومآسٍ قاتمة ستتغنّى بأحلام الناس.

كان البردوني
يترنّم أمام باعة المبادئ ونهّاب الأراضي
وشيوخ الثروة، وتجّار الحروب، وساسة
الخراب :
«هذه كلها بلادي ... وفيها
كل شيء إلا أنا وبلادي»..
ويفصّل للياء والميم والنون
إشراقة جديدة.

كان البردوني
يقول لميمونه الحميم
خبّر «علي ولد زايد»
عن عصر المكائد ورجال الموائد..
وأن بعض القوم يردّدون صوت غيرهم
وبعض القوم يعصرنون شوارب الزامل
وبعض القوم ابتلعهم جبّ القبيلة ودبّابة
البنوك،
وبعض القوم أصابعهم على زناد الإنترنت،
والبقية يحرسون حقول البُن على ضوء
الفوانيس.

كان البردوني
يضحك من صخب الفقاقيع
ويرسل أشواقه من سفره في «زمان بلا
نوعية»
إلى «أرض بلقيس» الحبيبة
ومسيرتها الطويلة «في طريق الفجر».

كان الغراب
يقرأ بيان الخراب،
وفئران السراديب تصفق إعجاباً
بصوته الرنّان وأفكاره السوداء،
وتطلب منه الإعادة.

كان الناي
يذرف شجونه المتراكمة
ويعبّر عن رفضه للواقع
ثم يرنو إلى البعيد .. وينام.

كان الربيع
يجمع أزهاره، ويعتصم بالجبال
يهجر الحدائق العامة، ويجافي بساتين
المدينة،
يترك الصبايا على مرايا الانتظار
يسحب مباهجه، وأثير عبقه
ويلوذ خلف انكساره.

كان البغل
يبتسم لكاميرات قنوات العهر
ويهدّد خصومه الساسة
بتحالفاته الجديدة، وأرصدته المتضخمة
وعلفه المفخّخ بالغضب العارم.

كان السراب
ينصب خيمته في ساحة البيد الصلعاء،
يشعل نار القرى في لياليه الموحشة،
وينتظر أي ضيف عابر
أو طيف حلم تائه،
ليشاركه الزاد، والشجن
وأحاديث المضارب الآفلة..
ليطربا معاً لشدو ربابة
وحماسة قصيدة نافرة
تحت سماء الأماني العابرة.

كان التخلّف
يوزّع أتباعه في كل شارع
ويأمر بإقامة حواجز لاعتراض سير السلام
وتفتيش الأطفال بحثاً عن أنشودة
مناهضة للهمجية الجديدة،
وشمشمة الحروف بحثاً
عن عبق يشي برائحة رفض وولادة ربيع.

كان الانتماء
ينقّي المفردات من حصى الأنانية،
ويدوزن أنغام النشيد على مقام الوطن،
ويزيل من حنجرة الفجر
بحّة الاغتراب، وآهة الوجع اليومي.

كان اللامعقول
يلقي بظلّه على كل شيء،
ويمنح المدن متاهات جديدة،
والشوارع أسماء غريبة،
ويغيّر مواعيد الحزن،
ويعيد ترتيب الأبجدية..
يضيف إلى أيام الأسبوع يوماً آخر
وإلى الـ ٢٤ ساعة، ساعة إضافية،
ويبدأ الأرقام من خانة لا تقرب للصفر
بأية قرابة،
ويفتح للغرابة باباً جديداً
وللغموض من نافذة مطلة على لغة
موحشة.

كان اللامعقول
يقف في ساحة الصدى
ويستمع بوله إلى خطيب أبكم
يحثّ الكائنات على الطيران
والشوك على السباحة،
والرصاص على الرقص، تشجيعاً
للمنتخب الوطني للعبة الكراسي.

كان اللامعقول
يؤلّف نشيداً جديداً لجمهورية المرّيخ
وينسحب من جامعة الدول العربية
احتجاجاً على غياب نانسي عجرم..
وعدم إدانة الصمت بالمذلة
وإدانة الحقيقة بالبراءة
وعدم الاعتراف بفوائد الجهل المركّبة.

كان الفأر
يلقي محاضرة عن الأخلاق والشجاعة،
ويستعرض أمام جموع القطط المتوحشة
أدواره التاريخية في قرض أوتاد المجد،
ويندد بمسلسل «توم وجيري»
ويدعو الإدارة الأمريكية إلى الاعتذار
والإشادة ببطولاته ومكانته في حوار
الحضارات.

كان الفأر
يتمنطق بأسلحة التخلف الشاملة،
ويرد على قنوات العهر بحصافة عالية،
يهدّد جميع دهاليز الحارة بالزحف
المقدّس
وإعلان الحرب على جميع كراتين الموز
واقتحام مخازن البطاط
إن لم تحترم مكانته التاريخية
في هزيمة سدّ مارب.

كان الفأر
ينصّب نفسه زعيماً ثورياً
وفقيهاً عصرياً يتفهّم إيقاع الحضارة
ورمزاً وطنياً تحتفي به جميع الشوارع
ومناضلاً أبو أربع شرائح
ورقماً صعباً في وجه الأصفار.

كان الفأر
يشطح في انفعالاته
وينتقد بعنف أدوار «ميكي ماوس»،
في تشويه مسيرة الفئران،
ثم يتساءل بمرارة درامية
عن الذي أكل «جبنة أبو ولد»
وحرمه من طعم «الهمبرجر».

■ مقاطع من نص طويل

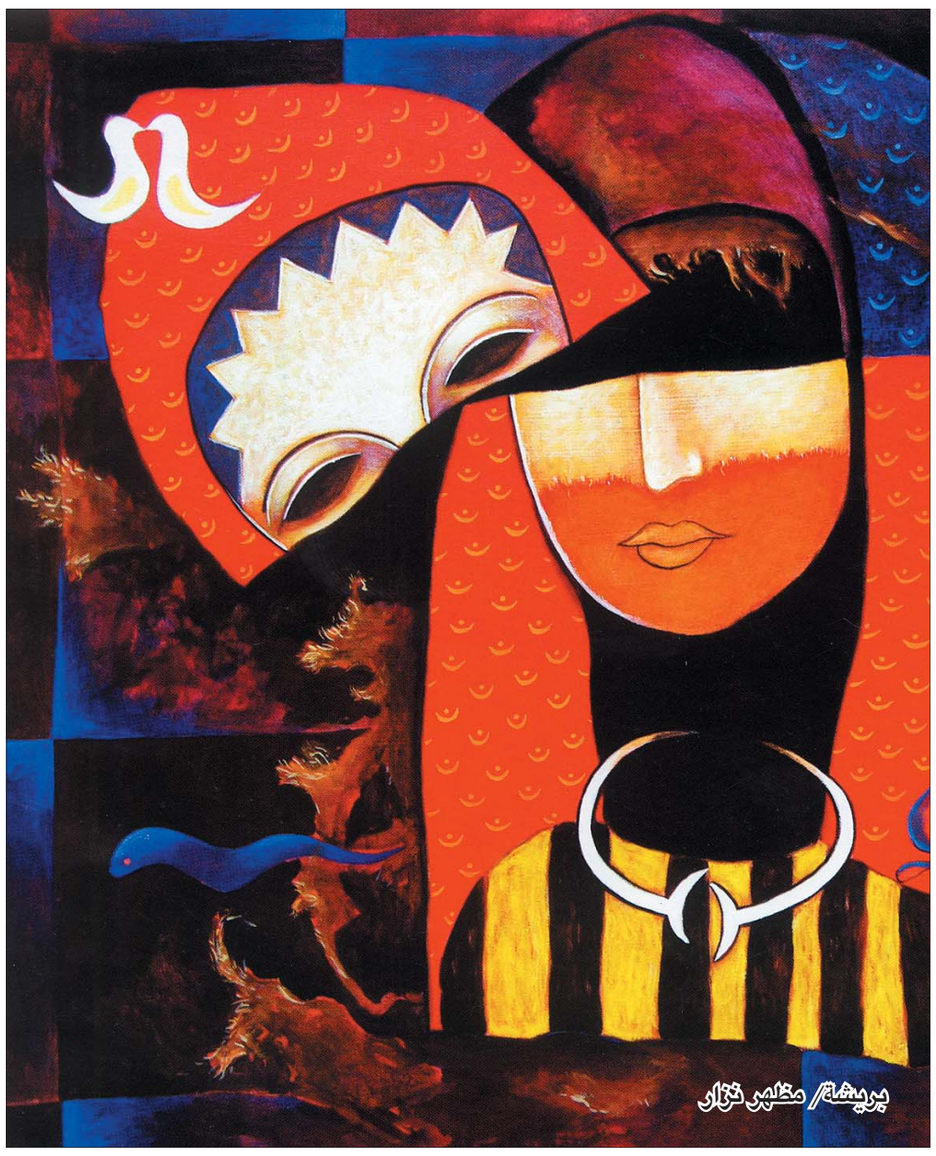

بريشة/ مظهر نزار

## إصدارات ثقافية

### «التنوير في إشكالاته ودلالاته»

● «التنوير في إشكالاته ودلالاته» كتاب صدر حديثاً للناقد والأكاديمي موريس أبو ناضر عن الدار العربية للعلوم – ناشرون في بيروت. والكتاب يضم مقالات وأبحاثاً نشر بعضها في جريدتي «الحياة» و «النهار»، ومجلة « الدوحة»، وبعضها الآخر لم ينشر من قبل، وهي تواكب حركة التنوير في لبنان والعالم العربي في السنوات الأخيرة، وتطل على مجالات ثقافية متعددة، هاجسها التنوير والحداثة وما بعد الحداثة.

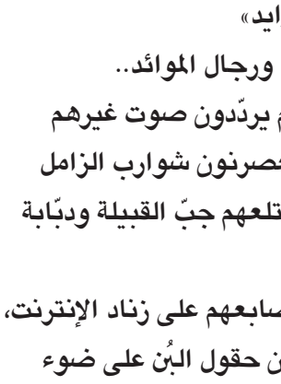

لقد كان التنوير في الغرب الأوروبي دعوةً لكل الناس لأن يستخدموا عقولهم، ويفكّروا بأنفسهم بعيداً من أي وصاية، دينية كانت أو سياسية أو ثقافية. وهذا ما تلخّصه عبارة رائد الحضارة الغربية كانط، في تعريفه التنوير بكونه عمليةَ خلاص الإنسان من سذاجته التي جلبها لنفسه، وذلك من طريق استخدام العقل من دون أن يشوّه التعصّب تفكيره، و من دون أن يوجّه الآخرون هذا التفكير. وهذا ما أردناه من نشر هذه المقالات – الأبحاث، بل هذا ما نعمل عليه، لأن فيه انتصاراً للحرية والعقل والتقدّم.

ويرى أبو ناضر أن القضايا التي أثارها التنويريون في القرن الثامن عشر في الغرب الأوروبي، تشبه إلى حدّ بعيد القضايا التي يثيرها التنويريون العرب اليوم، فقد دار سجال آنذاك حول قضية الدين والمجتمع، وقضية علاقة العلم بالمجتمع وعلاقته بالدين، وقضية التعامل مع الآخر بكل صوره وتجلياته، وقضية نظام الحكم ومدى التزامه بأسس التنوير، وقضية تحرير المرأة، وقضية المدى الذي يجب أن يصل إليه المدّ التنويري، بحيث يؤدّي إلى التغيير من دون أن يتسبّب بالفوضى».

أما الهدف من جمع هذه المقالات – الأبحاث، فهو كما يقول «الشهادة على أن التنوير في نسخته العربية يسير على طريق الحرية الفكرية، التي لا يكتمل مداها إلا بتحقيق بقية الحريات، كي تكمل النهضة العربية الثانية طريقها الى التنوير كنمط حياة، وممارسة اجتماعية، وواقع موضوعي يتميّز بالتغيير والتجدّد والإبداع.

لا تجد هذه المقالات – الأبحاث حرجاً في تعقّب التنوير والمتنوّرين في كتاباتهم أينما كانوا، سواء تكلموا في الفلسفة، أو تعاطوا الأدب، أو مالوا إلى الاجتماع، أو تحلّقوا حول الصورة، ذلك أن ثقافة التنوير لم تكن يوماً سجينة حركة، أو مدرسة، أو تيار أو نوع، أو قطاع معرفي، إنما كانت ومازالت إطاراً حضارياً يشعّ بإمكانات الحرية ويلهج بلغة التقدم الذي يحلم به أبناء الثقافة العربية.

### البطل في وقفته الأخيرة

● صدر عن وزارة الثقافة السورية بدمشق حديثاً المجموعة القصصية الثانية للكاتب مفيد عيسى أحمد بعنوان البطل في وقفته الأخيرة وتضم بين دفتيها عشر قصص يرصد من خلالها الكاتب بحساسية عالية فواصل ومفارقات معينة في سياق سيرورة الحياة.

وتتناول قصص هذه المجموعة حالات وأحداثاً هي كناية عن أزمات الإنسان في المجتمع المعاصر وتلازماتها.. العزلة والاغتراب اللذان يطبقان على الفرد ويزجانه في صعوبة التواصل والتفاعل مع الآخر ويحيلان إحساسه بمحيطه إلى العبثية فيبدو الواقع اقرب إلى الافتراض والتوهم.

وتقدم المجموعة من خلال قصصها المتنوعة صورة الخوف المكبوت من كل شيء ولا شيء والمقنع بمظاهر الحياة الطبيعية بالصمت والابتسامة بالهرج والصخب والتمرد لترميم إنسانية منتهكة بصرف النظر عن جدواه او عدمه.

كما ترصد المجموعة العوز للقيم والذي نحاول إشباعه بالاتكاء على رموز الماضي وأزمة المثقف في إدراك ذاته والآخر في مواجهة التسلط الثقافي والمجتمع التقليدي.

### «وقوفاً بها؛ ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث»

● في كتاب «وقوفاً بها؛ ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث» (الدار العربية للعلوم – ناشرون –بيروت) يقدم الباحث السعودي عبد الله بن سليم الرشيد دراسة في الشعر العربي الحديث، ينطلق فيها من زوايا مختلفة.

ويعتبر أن الدراسات التي تناولت الشعر العربي الحديث لا تقطع الطريق على من يتأمل في الشعر الحديث، ويعاود النظر فيه من زوايا مختلفة؛ فثمّة ظواهر فنية لم تقف أمامها أنظار الدارسين مطلقاً، أو أن بعضها حظي بكلمات وتعليقات في سياق دراسة الشعر بعامة، وهي تعليقات مفيدة جداً، ولكنها لا تغني نهم الباحث، فبقيت تلك الظواهر خافية عن الكثيرين، غائبةً في خضمّ العناية بالظواهر الكبرى.

يضمّ الكتاب ثلاثة أبحاث تناولت ثلاث ظواهر جديرة بأن يُوقَف عندها. أول هذه الأبحاث يدرس «ظاهرة الصمت» التي تجنح بالشعر إلى ألوان جديدة من التعبير الذي يُحمّل اللغة طاقات تعبيرية، ويلوّنها بألوان من شعرية التدوين إن صحّ التعبير.

والثاني يتناول «رثاء الشاعر للشاعر مضموناً وأداء»، وهذه الظاهرة واسعة جداً، وبالإمكان أن تُنجَز فيها بحوث عدة في الشعر القديم والحديث، وهو ما دعا الكاتب إلى استنطاقها مما قيل في رثاء خمسة شعراء فقط.

وفي الثالث دراسة لـ «اللزوميات في الشعر العربي الحديث: الرؤية والتشكيل الفني»، وتتضمن الدراسة عرضاً لهذه الظاهرة التي تمّت بعلاقة وثيقة إلى الإحياء الشفهي الذي ظهر في بدايات العصر الحديث، واستمر حتى يومنا هذا. إن هذه الأبحاث الثلاثة محاولة من مؤلّفها لاستنطاق خبايا الشعر، الذي لا يزال ثري المنابع، قادراً على استفزاز المتلقي، في عصر يُقال عنه إنه لم يعد عصر الشعر.

### الحج المقدس

● صدر حديثا عن دار العربي للنشر بالقاهرة ترجمة كتاب «الحج المقدس» للكاتبة الفرنسية «فيفيان أمينة ياغى» التي قامت برحلة الحج إلى مكة المكرمة عام ١٩٦٣.

ترجم الكتاب الدكتور محمد زكى المحاسنى الذي يشير في مقدمته إلى أن «فيفيان ياجى» هي قرينة الدبلوماسي السوداني الدكتور محمد أحمد ياجى، في المملكة العربية السعودية بجدة، والتي دخلت في الإسلام وكتبت عنه كتابا بالفرنسية بعنوان «سام جديد ونعت كريم مقبول» ويصفها مترجم الكتاب بأنها ملأت نفسها بروائع الحج، ومراحله، وشيقات سبله، وما فيه من تراتيل وطواف بالبيت العتيق، والعمرة والمسعى، ورجم الشياطين، والإقامة بعرفات ومنى حتى استولى كل ذلك الفيض الديني الصميم على قلبها.

ويشير مترجم الكتاب إلى أن الحاجة «فيفيان» لم تقصر كتابها على تصوير المشاهد التي يقوم عليها الحج، وعلى زيارة الرسول بالمدينة المنورة، وإنما وسعت نطاق البحث،حيث تناولت منازل المساجد الغابرة والأضرحة والآبار والطرق وبعث الذكريات الخالدة في أعمال الرسول وحروبه وفتوحه.

كما جعلت السيرة النبوية دليلا لها في كتابها فأتت منازل الملاحم النبوية كموقعة بدر وموقعة أحد، ويشير المترجم إلى استغراقه عام في نقل كتابها إلى اللغة العربية، لافتا إلى أن المؤلفة أشبهت علماء الآثار الباحثين في حفرياتهم عن عاديات المنازل الدارسة أو الدفينة تحت الثرى، حيث إنها حجت أكثر من مرة إلى مكة المكرمة، وكانت في كل مرة تذكر صورا ومشاهد مزدانة بالبيان، مكللة بالأدب والتحقيق العلمي بما تنوء به العصبة من الرجال على حد قول المترجم.